علاقــة جمعيــة العلمــاء المسلميـن بنواب فيدراليـة المنتخبين المسلمين لعمالة قسنطينة(1936-1931).

أ. محمد بكار/ جامعة حسيبة بن بوعلي/ الشلف.

أعد الاستعمار الفرنسي جملة من القرارات السياسية الجديدة في الجزائر لمكافأة من ضحوا بأرواحهم في سبيل فرنسا خلال الحرب العالمية الأولى، وجاءت إصلاحات 4 جانفي 1919 ضمن هذا السياق فاتحة باب التمثيل النيابي لبعض الجزائريين، مع حرية تشكيل النوادي والجمعيات ذات الطابع الاجتماعي والسياسي. لكن كيف تعامل الاستعمار وإدارته مع الحركة الوطنية الجزائرية؟ وكيف كانت ممارسة مختلف الجمعيات الجزائرية لهذا الحق السياسي؟ وكيف كانت طبيعة العلاقات بين التيارات الجزائرية في هذه الفترة من التاريخ المعاصر؟. وللإجابة على هذه التساؤلات بحثنا في تلك العلاقة التي جمعت بين جمعية العلماء الجزائريين المسلمين ونواب فيدرالية المنتخبين المسلمين لعمالة قسنطينة ما بين:(1936-1931)، وظهرت عدة جوانب ميزت الحركة الوطنية آنذاك كصعوبة الممارسة السياسية من جهة، ودسائس الاستعمار وأذنابه من المعمرين والجزائريين أصحاب المصالح، الذين كرسوا حياتهم خدمة للسياسة الاستعمارية، وإحباط أي مبادرة جزائرية ترمي إلى تحقيق الوحدة بين الجزائريين.

لقد اعتقد الكثير من المؤرخين الفرنسيين أن جمعية العلماء الجزائريين المسلمين المؤسسة في 5 ماي 1931 أنها تمكنت من استثمار جهود معتبرة في المجال الثقافي والتعليمي، بينما عاب عليها البعض الآخر سيرها على هامش الحركة الوطنية الجزائرية. كما كانت في نظر الإدارة الاستعمارية مجرد جمعية دينية وثقافية، أسقطت منها الطابع السياسي الذي كانت تمثله بسن قوانين ردعية، فمنع العلماء من إلقاء الخطب في المساجد، وأغلقت المدارس الحرة التابعة للجمعية عبر التراب الوطني. إلا أن الواقع أظهر عكس ما قيل خاصة لما نتتبع نشاط الجمعية، وسيرة ممثليها المؤسسين أمثال: الشيخ عبد الحميد بن باديس، والبشير الإبراهيمي، والعربي التبسي، ومحمد خير الدين، والطيبي العقبي، وغيرهم كثير. وردا على هؤلاء يمكن القول أنه كانت للجمعية مساهمات سياسية بعيدة الأفق لم ينتبه إلى فعاليتها إلا بعد مرور عقدين من زمن تأسيسها. ومن بين الأهداف المحققة على سبيل الحصر فقط: تمكن الجمعية من تكوين جيل جزائري قادر على تحمل الميراث الثقافي ومقومات الشخصية الوطنية للأمة الجزائرية، وتبني الجمعية برنامجا عمليا معاديا لسياسة التغريب المنتهجة من قبل الاستعمار الفرنسي داخل البلاد، بنشر العلم والتعليم العربي، وبناء مدارس موازية للمدارس الفرنسية كخطة حضارية لمواجهة الصراع التاريخي بين المسلمين والمسيحيين، بالإضافة إلى تأسيسها للنوادي، ونشرها لصحافة ذات نوعية، وتوعية الجماهير بواسطة منابر المساجد، كما كان لجمعية العلماء الفضل الكبير في ظهور مؤرخي الجزائر الأوائل ونقصد بالطبع مبارك الميلي وأحمد توفيق المدني.1

لـم نعثـر علـى أي تقـارب سياسـي جمـع بـين جمعيـة العلمـاء المسـلمين وفيدراليـة المنتخبين المسلمين لعمالة قسنطينة ما بين(1933-1931)، رغم أن الفيدرالية تأسست سنة 1930. ومن بين أسباب فتور العلاقة إن لم نقل نفور العلماء الجزائريين من النواب، هو أن نـواب القسـم الثـاني بـاعوا ضـمائرهم إلـى الإدارة الفرنسـية مقابـل ضـمان الفـوز فـي الانتخابات، كما أن أفكارهم تمحورت حول جر الشعب الجزائري نحو الإدماج الكلي مع فرنسا بما يحتويه من تخلي عن الأحوال الشخصية. ولهذا وجدت أفكارهم معارضة قوية من أفراد الشعب الذين اعتبروها مقدمة لسلخ الأمة من مقوماتها الأساسية خاصة الإسلام والعروبة. كما أن جمعية العلماء المسلمين التي ترأسها الشيخ عبد الحميد بن باديس لم تتحمس لأي تعاون ممكن مع نواب الإدماج، حيث اعتبروهم مجرد متعاطفين مع الاستعمار وإدارته.2 ومن منطلق هذا الحكم لم يمثل نواب هذه الفترة إلا أنفسهم بحكم أقليتهم داخل المجتمع، وانتمائهم إلى الطبقة الأرستقراطية، وتمسكهم بالثقافة الغربية التي تعلموها في المدارس الفرنسية، مما أبعدهم عن هموم المجتمع الجزائري وخصوصياته الحضارية، وتقاليده المحافظة عبر العصور.

كمـا شـهدت الفتـرة ذاتهـا تطـور تيـار إصـلاحي انـدماجي داخـل فيدراليـة النـواب الجزائريين، متكون من شباب طموح ومثقف من دعاته الدكتور محمد الصالح بن جلول، والصـيدلي فرحـات عبـاس. ففـي ظـرف قصـير تمكـن ابـن جلـول وأتباعـه مـن النـواب المتحمسين سحق منافسيهم من الجيل القديم في انتخابات المفوضيات المالية، والانتخابات البلديـة أمثـال الباشـاغا محمـد بـن بـاديس المنبـوذ مـن قبـل القسـنطينيين، وابنـه مولـود بـن باديس، وسبق أن كانت هناك منافسة منذ القديم بين عائلتهما وعائلة ابن جلول رغم قرابة النسب، والتي لم تنته بعد.3 لم يكتف ابن جلول بهذا الانتصار وعزز مركزه بإبعاد شريف سيسبان، زعيم دعاة الإدماج، وتمكن من أن يحل مكانه على رأس فيدرالية المنتخبين المسلمين لعمالة قسنطينة سنة 1933. وتزامن هذا النجاح الكبير بإصدار السلطة الفرنسية الاستعمارية مرسوم ميشال المشئوم في فبراير من السنة نفسها، مما كان سببا في التضييق على جمعية العلماء المسلمين بعد سنتين من تأسيسها، بمنع علماء الإصلاح من استعمال منابر المساجد، وإغلاق المدارس الحرة، ومنع إصدار الجرائد.4 كانت هذه المناورة الفرنسية محكا حقيقيا للنواب الجزائريين، وبداية التقارب بين دعاة سياسة الاندماج وعلماء الإصلاح في قسنطينة. حاول نواب فيدرالية المنتخبين داخل جلسات المجالس المنتخبة الدفاع عن الجمعية ومطالبة الإدارة بإلغاء مرسوم فبراير، وإصلاح الوضع الاجتماعي للجزائريين المسلمين، ولما أدركوا أن الإدارة عاجزة عن إنصاف جمعية العلماء والشعب الجزائري، عزموا الذهاب إلى الحكومة الفرنسية بباريس لكي تستجيب إلى مطالبهم. لكن زيارتهم الأولى لباريس يوم 19 جوان 1933 فشلت، ومن أهم المطالب التي حملوها للسلطات:

- حرية ممارسة الشعائر الدينية، واحترام التعليم الديني.
- عدم التضييق على المساجد حتى لا يحرم المسلون من واجبهم الديني مثل الآخرين.5

وبسبب عدم استقبالهم هناك من قبل السلطات السياسية أحس النواب بالإحباط، مما دفعهم إلى استعمال أسلوب الاستقالة الجماعية من مختلف المجالس المنتخبة يوم 5 جويلية 1933 للضغط على الإدارة، كما توقفوا عن تقديم الولاء للشخصيات الرسمية، وامتنعوا عن التصويت على الميزانية داخل المفوضيات المالية.

هكذا إذن تمكن نواب فيدرالية المنتخبين من اكتساب شعبية كبيرة داخل العمالة، وصعد نجم رئيسهم بعد حركة الاستقالة الاستعراضية، وظهرت بادرة التقارب بين جمعية العلماء المسلمين وفدرالية المنتخبين المسلمين تلوح في الأفق. لكن الأمر لم يكن سهلا في البداية، لأن مهمة إقناع معارضي الاندماج من الإصلاحيين كانت صعبة خاصة فيما تعلق بالجمع بين الاندماج والأحوال الشخصية. كما حاول سكان عمالة قسنطينة، وجمعية العلماء المسلمين دفع ابن جلول وفيدرالية المنتخبين المسلمين للذهاب أبعد من سياسة الاندماج.6 لهذه الغاية وقفت جمعية العلماء إلى جانب الفيدرالية تدعم قوائم مرشحيها مع الدعاية لها وسط الجماهير الشعبية والتصويت عليها.

ومن الأعمال المشتركة بين جمعية العلماء المسلمين وفدرالية المنتخبين المسلمين، هو التفافهم الكبير الذي سادهما خلال أحداث 3-6 أوت 1934 الدامية بين الجزائريين المسلمين، ويهود مدينة قسنطينة. ففي هذه الظروف وقف كل من عبد الحميد بن باديس، وابن جلول سويا لتهدئة الغاضبين من الجانبين، وحاولا معا إخماد نار الفتنة المشتعلة منذ سنوات بينهم. كانت استفزازات اليهود مألوفة ويومية داخل المدينة، لم يسلم منها حتى الشيخ عبد الحميد بن باديس نفسه، فهو الذي هاجمه شباب يهود سنة 1932، ورموا بعمامته في ساقية، ولتفادي المواجهة لم تقدم أي شكوى، بينما أشعرت الإدارة بالحدث.7 شارك العلماء والنواب والأحبار في اجتماع بمسجد المدينة وتعاون الجميع من أجل تلطيف الأجواء، وتهدئة نار الحقد والغضب. وسهر ابن جلول وابن باديس الليالي يطوفان المدينة للتأكد من عودة الهدوء إلى الأحياء الشعبية. ورغم هذا الدور، إلا أن النواب المعمرين اتهموا فيدرالية المنتخبين المسلمين، وجمعية العلماء المسلمين بالوقوف وراء الأحداث، وحتى الحاكم العام سار معهم لما راسل وزير الداخلية.8 ورغم الكيد اكتسبت فيدرالية المنتخبين ود جمعية العلماء المسلمين خلال الأحداث وبعدها، وأشاد العلماء بدور ابن جلول، والشيخ عبد الحميد بن باديس بإعادة الطمأنينة للمدينة.9 ومما سبق، وخلال مساندة العلماء لفيدرالية النواب بمناسبة حملة انتخابات 14 أكتوبر 1934، تعرض الشيخ محمد خير الدين، ومرافقيه من العلماء، ووفد من النواب إلى الاعتداء ببسكرة لما قاموا بدعم الدكتور سعدان مرشح النواب في البلدية. وقاد هذه العصابة المسلحة المعتدية "الحفناوي دبابش" وأنصاره لتفويت الفرصة عليهم، كما قامت فرقة من رجال الشرطة المسلحة تساندهم، وسقط خلال هذه المواجهة جرحى من بينهم الشيخ محمد خير الدين، والدكتور سعدان.10 والأحداث نفسها عرفتها المدينة في انتخابات 15 ماي 1935 وقف وراءها الباشاغا "بوعزيز بن قانة" وأنصاره انتهت بتزوير قائمة النواب العامين للبلديات. لكن في قسنطينة فازت قائمة فيدرالية المنتخبين المسلمين بفضل المناصرين للفدرالية خاصة جمعية العلماء الموجودة بقوة.

حاول رئيس فيدرالية النواب المسلمين "ابن جلول"، تبني مبادرة سياسية جديدة لجمع شمل الحركة الوطنية تحت زعامته. لهذا وجه دعوة عامة يوم 15 مارس 1936 في جريدة الدفاع (LaDéfense) لتأسيس حزب، إلا أن فكرته لقيت معارضة من قبل العلماء، وبشكل خاص من قبل الشيخ عبد الحميد بن باديس. ويعود سبب الخلاف أن العلماء رؤوا أنه من المستحسن تجسيد الفكرة في تنظيم مؤتمر إسلامي يجمع الجميع مكان الحزب.11 لكن السبب الرئيسي في اتخاذ العلماء هذا الموقف هو محاولتهم قطع الطريق أمام ابن جلول والنواب دعاة الاندماج.12 وبعد سوء تفاهم اتخذ العلماء زمام المبادرة، وبدأ الشيخ عبد الحميد بن باديس في الاتصال بزعماء التيارات السياسية، والشخصيات الوطنية. واستطاع أن يقنع الجميع بفكرة المؤتمر ومن بين هؤلاء: ابن جلول، فرحات عباس، من فدرالية المنتخبين المسلمين، وطاهرات، من الحزب الشيوعي الجزائري. وحول انضمام رئيس النواب الجزائريين إلى المؤتمر الإسلامي قيل الكثير، فهناك من أرجع سبب انضمامه إلى انتصار الجبهة الشعبية في الانتخابات الفرنسية، وانتظاره دعم منها في مشواره السياسي، وهناك من ظن أن ابن جلول التحق إلا لما علم أنه سيترأس المؤتمر.13 لكن المؤكد من هذا أن ابن جلول استطاع أن يقنع العلماء بطرحه الاندماجي الذي كان يمثله مع نواب الفيدرالية، لهذا لم تتجاوز مطالب المؤتمر مطالب فيدرالية المنتخبين المسلمين لعمالة قسنطينة. أما السبب الذي جرّ العلماء للعمل بجانب دعاة الاندماج، هو أملهم في رؤية الجبهة الشعبية تنصف الجزائريين، وتمنحهم الحقوق نفسها التي استفاد منها من قبل معمرو الجزائر. كما علق الشيخ عبد الحميد بن باديس في بداية حياته السياسية آمالا في التعاون مع الإدارة الفرنسية لما يخدم الجزائريين المحرومين. لهذا حرص- فيما يبدو من النصوص- على التودد لفرنسا كي تمنحه فرصة الاتصال بالشعب الجزائري كما نرى في العدد الأول من جريدة (المنتقد) أو العدد الأول من (الشريعة) وهو ما أعاده أيضا في العدد الأول من (البصائر) في سلسلتها الأولى.14 كان التودد عند رئيس جمعية العلماء إلاّ مراوغة منه، وهذا من أجل استمالة الإدارة، لكن سذاجته أملت عليه استعمال لفظ "الأمة"، والأمة طبعا هو اعتراف ضمني بمقومات الشعب الجزائري، هذه المقومات التي ستفرض نفسها ذات يوم للمطالبة بالانفصال والاستقلال.

وكما كان متوقعا عمل العلماء والنواب جنبا إلى جنب من أجل إنجاح المؤتمر الإسلامي في شكله ومضمونه، وتشكلت لهذه الغاية النبيلة لجنة من الشخصيات الهامة المعروفة داخل القطاع القسنطيني تحضيرا للمناسبة. وفي يوم 16 ماي 1936 أصدر نداء إلى كافة الجزائريين يدعوهم إلى الوحدة، والعمل، والتسامح حتى تنجح المبادرة.15 وذكر الشيخ محمد خير الدين في مذكراته الكيفية المنظمة التي تأسس بموجبها المؤتمر الإسلامي في الجزائر العاصمة، وكيف خاض من مثلوه في جميع المسائل التي عرضت على المؤتمر، وكيف اتفق الجميع على نظام المؤتمر، ومكتبه، وخطبائه، كما أشار إلى الاتفاق الإجمالي الذي وقع حول إسناد رئاسة المؤتمر إلى ابن جلول، والنيابة للشيخ عبد الحميد بن باديس، وكذا تأليف المكتب من النواب، والعلماء، والشباب.16 ونسجل هنا أن

المؤتمر الإسلامي الأول لقي معارضة من دعاة الإدماج القدماء، والذين استثناهم المؤتمر لمواقفهم المعروفة. وللتشويش على المؤتمر اتهموا العلماء ونواب فيدرالية المنتخبين المسلمين بمحاولتهم جلب التيار الإصلاحي المنتشر في المشرق العربي.17 أما زعيم حركة "النجم" مصالي الحاج فبرر عدم التحاقه بالمؤتمر بسبب تواجده في سويسرا آنذاك، مما استحال عليه الاطلاع على مطالب المؤتمر السياسية، لكنه أرسل برقية أيد فيها المؤتمر، وقدم مساندته لكل المطالب التي بإمكانها تحسين وضع الشعب الجزائري المسلم، كما لم ينس رفضه للتمثيل النيابي النسبي للجزائريين.18

انعقدت جلسات تحضيرية للمؤتمر في ظروف حسنة يوم 6 جوان 1936 بالجزائر العاصمة، وفي يوم 7 جوان بقاعة الماجستيك، افتتحت الأشغال بصفة رسمية عل الساعة التاسعة صباحا. وكانت رسالة العلماء واضحة بعد أن أثنى الجميع على المطالب المتبنية، وعلى أهمية المؤتمر، واتفق الجميع وبحذر على تطبيق الاندماج دون الموافقة على برنامج فيوليت.19 ومن خطباء جمعية العلماء المتدخلين الشيخ عبد الحميد بن باديس، والشيخ البشير الإبراهيمي، ولامين العمودي. وفي المساء عين المؤتمر أعضاء الوفد المكلف بحمل المطالب المتفق عليها إلى سلطات باريس. كما عينت لجنة مكونة من 66 عضوا كجهاز تنفيذي مسير للمؤتمر خلال شهر جويلية، وتتمثل مهمتها في طبع مطالب المؤتمر باللغتين العربية والفرنسية، والقيام بجولات عبر التراب الوطني لتأسيس لجان محلية، وتعريف الشعب الجزائري بالمؤتمر وقراراته. حاول العلماء، والنواب المسلمون، والشيوعيون إعطاء صبغة وطنية للمؤتمر بكل الأبعاد، وتوحيد جميع القوى السياسية الممثلة للمجتمع الجزائري باستثناء "النجم" طبعا. وبعد وصول وفد المؤتمر المكون من 18 عضوا يوم 19 جويلية 1936 إلى فرنسا بواسطة الباخرة "تمقاد" حمل المطالب التالية للسلطات الفرنسية:

- إلغاء القوانين العنصرية المطبقة على الجزائريين.
- ربط الجزائر بفرنسا مع احتفاظ المسلمين المتجنسين بالشخصية الإسلامية.
- تحسين وضع الجزائريين الإداري والقانوني.

كما تبنى المؤتمر مطالب تعلقت بحرية التعليم، والصحافة، والصحة، والأجور، واستغلال الأراضي، وتوزيع ما هو غير مستغل منها على الفلاحين الجزائريين. ولم تنس مطالب الوفد العفو على من سجنوا خلال أحداث أوت 1934، وتسوية عدد المقاعد المخصصة للمسلمين والمعمرين بما فيها الانتخابات المحلية والبرلمانية، مع ضمان الحرية النقابية، وحرية السفر إلى فرنسا والخارج.20

وأثناء تواجد وفد المؤتمر في العاصمة الفرنسية، حدثت اتصالات بين العلماء، وبعض المناضلين من "النجم" في حضور بعض النواب من بينهم فرحات عباس، وفي غياب طبعا ابن جلول الذي يمقت هذه الحركة وزعيمها بحكم انتمائهم إلى الشيوعية حسب اعتقاده. ومن نتائج الاتصالات المتكررة التي جرت بالنزل الكبير الباريسي، هو أنها أحدثت شرخا في تلك العلاقة الفتية بين العلماء والنواب بعد عودة الوفد إلى الجزائر. وعن فحوى ومضمون هذه اللقاءات فإنها تطرقت بشكل عام إلى كيفية إقناع جمعية

العلماء بعدولها عن تبني مشروع "بلوم-فيوليت" الذي يكرس الاندماج النسبي، وعزل العلماء عن جماعة النواب، وبالأخص إبعاد ابن باديس عن الدكتور محمد الصالح بن جلول. فحسب ظنهم لم تكن سياسة الإلحاق سياسة ثورية قادرة على مقاومة الاحتلال، وتحقيق الاستقلال، لهذا شوشوا على خطاب ابن جلول الذي ألقاه في نادي "فوبورغ" بباريس.21 ونظرا لشخصية ابن جلول المتميزة بعدم الرد على المعارضين لسياسته سواء كانوا من النجم أو من الشخصيات الجزائرية أمثال مالك بن نبي الذي شهد له بذلك لما حاوره في مقر إقامة الوفد. أما مصالي الحاج فاتقى بابن جلول مصادفة بباريس، وعاتب زعيم "فيدرالية المنتخبين المسلمين لعمالة قسنطينة" على المطالب غير الكافية، وتحمس أمامه لفكرة الوطن والدولة الجزائرية، فرد عليه ابن جلول أن الوطنية هي تأمين الرغيف في المعدة أولا.22

ومن خلال حديث الرجلين تتضح رؤية كل منهما إلى الأمور السياسية المتعلقة بالاستعمار والجزائريين، لكن الملاحظ في كل هذا هو نزعة الزعامة التي نالت منهما، خاصة مصالي الحاج لطبيعة الفترة حيث كان يسعى وراء مجد ممكن بحكم أفكاره الثورية، وظروف إقامته في المهجر، أي في أجواء باريسية أين الحرية والديمقراطية، وهو الشيء المفقود بالنسبة للعلماء، ونواب فيدرالية المنتخبين المسلمين بحكم النضال داخل الجزائر، أين السلطة المتسلطة للإدارة الاستعمارية، واللوبي الكولونيالي الرافض للتغيير.

ويضاف إلى هذا التباعد والتفرقة بين تيارات الحركة الوطنية، هو معارضة المعمرين الذين أقاموا الدنيا لما انعقد المؤتمر الإسلامي، وعملوا المستحيل للقضاء عليه، ولما نفذوا خطتهم الدنيئة، وقتل مفتي الجزائر، وسجن من العلماء كل من الطيب العقبي بتهمة التحريض على القتل، وعباس التركي بتهمة الرد على رسالة وجهها المغتال إلى الحكومة الفرنسية للنيل من المؤتمر.24 وكما كان متوقعا سقط المؤتمر في الفتور بعد رجوع الوفد الممثل له فارغ اليدين من سفريته، باستثناء الوعود الكاذبة للسلطات الفرنسية. كما كان الاجتماع الكبير المنعقد في الملعب البلدي بالعاصمة يوم 2 أوت 1936 فرصة لأضداد النواب، والعلماء للبروز إلى الواجهة على حساب مجهودات غيرهم، وبأقل التكاليف. ومن بين هؤلاء مصالي الحاج الباحث على شعبية ابن جلول، والذي طاب له المقام بعد تصدع المؤتمر، وراح يؤسس مع أتباعه فروعا جديدة لحركتهم، وفي قسنطينة بالذات زادت عن ثلاثين فرعا، ثم تقرب من العلماء، وانتظر فرصة أخرى للإطاحة بالحركة الاندماجية.

إنّ تخوف ابن جلول من أي تقارب قد يحدث بين العلماء، وأتباع مصالي الحاج في باريس كان منطقيا، وهو ما حدث فعلا باستثناء الطيب العقبي الذي قاسم ابن جلول طرحه الاندماجي، وكان من المتمسكين علانية ببرنامج بلوم-فيوليت.23 وهذا ما شكل فعلا أصل الخلاف الذي كان بين العقبي وبين الشيخ ابن باديس، وازدادت العلاقة بينهما سوء بعد حادثة مقتل مفتي الجزائر الشيخ كحول من طرف عكاشة وعصابته. دافع ابن جلول على الطيب العقبي لأنه واحد من المقربين إليه، ولأنه عارض معه تدخل مصالي

الحاج يوم 2 أوت، وأقر أمامه أن الجزائريين فرنسيين.25 كانت شكوك رئيس فيدرالية النواب الدكتور ابن جلول في البداية موجهة للعلماء حول مقتل المفتي، حتى أن ظنونه كانت حول صدام محتمل قد يحدث بينهم وبين الطرقيين مما قد يؤدي إلى حرب دينية.26 ومما أزم العلاقة أكثر بين ابن جلول، والعلماء ما نقلته الجريدة الفرنسية (Marseille Matin) يوم 12 أوت 1936 حيث فند رئيس فيدرالية المنتخبين علاقته بجمعية العلماء، واعتبر أن أيديهم مخضبة بالدماء.27 وكلفه هذا التصريح استنكار العلماء في جريدة الدفاع (La Défense)، ومجلة الشهاب التي اعترفت أن رئاسته للمؤتمر كانت محترمة ومعترف بها من قبل الجميع، لكنه أثناء ذلك كان يرى نفوذ جمعية العلماء في ازدياد، وكان يخاف أن تدور دائرة الضوء يوما من الأيام على زعامته فتخرجها إلى الهاوية.28 ورغم الانتقادات الموجهة إليه حافظ ابن جلول على طبيعة علاقته بالعلماء، وأرسل من باريس برقية تهنئة للطيب العقبي، وعباس التركي بعد خروجهما من السجن يوم 15 أوت 1936.29

ومن منطلق سرعة الأحداث، يمكن القول أن الحبل الذي جمع العلماء بفيدرالية المنتخبين انقطع إلى الأبد، وازداد الشرخ عندما نقلت جريدة الأمة تصريحا آخر لابن جلول في الجريدة الفرنسية (La Brêche)، ذكر فيه وبلهجة شديدة أن الجسور قطعت يوم 2 أوت 1936، وأنه وأتباعه سيلاحقون كل من هو غير فرنسي.30 هكذا تراجع دور العلماء، والنواب معا بعد مقتل المفتي، وأصبحت الساحة السياسية فارغة للنجم بتكثيف مصالي الحاج نشاطاته بعد الحادثة. وطاب له المقام في الجزائر بدوراته الميدانية لعدة مدن جزائرية، واستغل الالفتور السياسي داخل الجزائر لصالحه، واكتسب قاعدة جديدة من المناضلين جدد. كما حاول جلب العلماء إلى صفه بتصريحاته خاصة لما ذكر في يوم 27 نوفمبر 1936 بالمهجر أنه ليس مثل ابن جلول الذي أراد منع العلماء من ممارسة السياسة، فالعلماء أحرارا في ممارستها.31 ومرة أخرى أخطأ العلماء لما تعاونوا مع الشيوعيين، فبعد خروج ابن جلول ونواب فيدراليته من المؤتمر أصبحوا لا يتحكمون في الأمور نتيجة سيطرة الحزب الشيوعي على المؤتمر الإسلامي الثاني الذي انعقد في جويلية 1937، ورغم وجودهم القوي، عجزوا على إنجاحه لنقص كفاءتهم السياسية، أما النواب الذين انساقوا وراء فرحات عباس، لم يعجبهم هيمنة الحزب الشيوعي، فساهموا هم أيضا في إضعافه بتقاعسهم.

وقد بينت الظروف الصعبة مما ذكرناه أن العلاقة بين العلماء والنواب فرضتها المصلحة الضيقة الآنية، فكل منهما انتظر دعما معنويا من الآخر للخروج ظافرا من اللعبة السياسية. فالنواب رؤوا في العلماء الجانب الروحي الذي يمكنهم استغلاله لمآرب سياسية خاصة القدرة على جمع الجماهير وتعبئتها. أما العلماء فقد رؤوا في النواب سند قوي لهم بحكم مراكزهم النيابية، وقدرتهم على إيصال صوت الجمعية إلى الإدارة والسلطة الفرنسية. كما كان ابن باديس يستشير رئيس النواب في الأمور السياسية في كثير من المسائل الخاصة بجمعية العلماء. لكن المكائد والدسائس بينت هشاشة العلاقة التي جمعتهما من جهة، وأظهرت أن أطرافا أخرى كانت تتربص لهذه العلاقة، وتعمل

في الخفاء من أجل تشتيت الرابطة بين العلماء والنواب. وفي الوقت نفسه لعبت إدارة شؤون الأهالي دورها في حبك خيوط الجريمة بتفاني حتى تمكنت مع المعمرين من ربح المعركة، ونالوا بخططهم المدروسة من التيارات السياسية الجزائرية في ظرف وجيز دون أن يتنبأ أحد إلى أن الصراع الحقيقي هو بين الإدارة الاستعمارية وأذنابها من المعمرين، والبعض من المحظوظين الذين باعوا ضمائرهم من أجل تحقيق مصالحهم، وبين الجزائريين رغم ما يحملوه من أفكار وتوجهات سياسية.

الإحالات:

1- Gilbert Meynier, Histoire Intérieure du FLN(1954-1962), Casbah édition, Alger, 2003, p.53.

2- أنيسة بركات، الحركات السياسية خلال سنة 1936 في الجزائر، مجلة التاريخ، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، العدد9، الجزائر، 1980، ص.50. وأنظر أيضا: رابح التركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1984، ص.65.

3- A.W.C, Note sur Les Réformes Désirée par La Fédération Des Élus Indigénes du Département de Constantine, 17 Avril 1937.

4- Claude Collot, Henry-Jean Robert, Le Mouvement National Algérien: Textes(1912-1954),2éme éditions,O.P.U, Alger, 1981, p.40.

5- Ibid.

6- محمد بكار، محمد الصالح بن جلول(1985-1893)، رائد الحركة المطلبية في الجزائر، ط1، دار الأصول للطباعة والنشر، الجزائر، 2009، ص ص: 38-46.

7- Mohammed El-Aziz Kessous, La Vérité Sur le Malaise Algérien, Préface du Docteur Bendjelloul, Propriété de l'Auteur, Bône, 1935, p.85.

8- Charles-Robert Agéron, Histoire de l'Algérie Contemporaine (de l'Insurrection de 1871 au Déclenchement de La Guerre de Libération 1954), 1ére édition, Tome I, Presse Universitaire, Paris, 1979, p.426.

9- Mahfoud Kaddache, Histoire du Nationalisme Algérien, Question Nationale et Politique Algérienne (1919-1951), Tome I, 2éme éditions, Entreprise Nationale du Livre, Alger, 1993, p.316.

10- محمد خير الدين، مذكرات، الجزء الأول، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر بدون تاريخ، ص.285.

11- Claude Collot,Henry-Jean Robert, Le Mouvement National Algérien, op.cit, p.64.

12- Mohamed Medjaoud, L'Action Réformiste de l'Association des Oulémas Musulmans Algériens (1920-1940), Thèse de doctorat, Université Paul Valery, Montpellier III, Année 1991-1992, p.234.

13- ابراهيم مهديد، الحركة الوطنية الجزائرية في القطاع الوهراني خلال عقد الثلاثينات (النهضة والصراع السياسي)، أطروحة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، تحت إشراف الدكتور الصم المنور، جامعة وهران، جوان 1986، ص ص: 122-228. وأيضا:
Charles-Robert Agéron, Histoire de l'Algérie Contemporaine, op.cit, p.437.

14- عمر بن قينة، صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث(أعلام..وقضايا..ومواقف)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص.153.

15- محمد بكار، محمد الصالح بن جلول(1985-1893)، رائد الحركة المطلبية في الجزائر، المرجع السابق، ص.76.

16- محمد خير الدين، مذكرات، المرجع السابق، ص.331.

17- نفسه، ص.330.

18- Renaud De Roch Brune, Les Mémoires de Messali Hadj (1898-1938), préface de Ahmed Ben Bella, Post faces de Charles-André Julien, Charles-Robert Agéron, Mohammed Harbi, édition Jean Claude Lattes, Paris,1982, p.214.

19- محمد بكار، المرجع السابق، ص.78.

20- محمد بكار، نفسه، ص ص:78-79.

21- عبد الحميد زوزو، الهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين (1939-1919)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص ص:138-140.

22- Habiba Zerkine, The Fédération of Élected Muslims of the Département of Constantine, Thèses doctorat N° 5472,Vol:II, Université de Washington, 22 May 1994, p.316.

23- A.W.O, Problêmes Nord Africain, 2éme éditions, Carton N° 4481.

24- Mohamed Medjaoud, op.cit, pp:247-248.

25- Habiba Zerkine, op.cit, p.322.

26- أحمد مريوش، الشيخ العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، تحت إشراف الدكتور أبو القاسم سعد الله، جامعة الجزائر،، معهد التاريخ، بوزريعة: 1991-1992، ص.233.

27- البصائر، السنة الأولى، العدد33، 4 سبتمبر 1936.
28- مجلة الشهاب، م12، ج8، نوفمبر 1936.
29- أحمد مريوش، المرجع السابق، ص.359.
30- جريدة الأمة، العدد 87، السنة الثانية، 25 أوت 1936.

31- Renaud De Roch Brune, op.cit, p.237.